مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية
Eissn :2602-5248 Issn :2353-0456
المجلد11/العدد1(2023)، ص: 23-33

دور محمد بن شنب في المحافظة على التراث التربوي الإسلامي خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر

The role of Muhammad Ibn Shanab in preserving the Islamic educational heritage during the period of the French occupation of Algeria

شيكو يمينة.[1]

[1] المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة-(الجزائر) chiko.yamina@ensb.dz

تاريخ الاستلام 2022/11/21 تاريخ القبول:2022/11/29 تاريخ النشر:2023/03/06

ملخص:

يعد العلامة محمد بن شنب (1869-1929) من أبناء مدينة المدية الذين وظفوا علمهم في خدمة تراثهم التربوي الإسلامي والمحافظة عليه. فقد كان وفيا لوطنه وشعبه ودينه وثقافته في فترة الاحتلال الفرنسي. فقد استعمل هذا الأخير كل السبل والوسائل المختلفة من اجل طمس هوية هذا الشعب الدينية واللغوية والوطنية. وهذه المداخلة تعاين مظاهر المقاومة الثقافية داخل جامعة الجزائر آنذاك من خلال الاعمال الفكرية المتميزة لمحمد بن شنب. فقد كان أول دكتور في الأدب العربي في جامعة الجزائر. تجلت حمايته للتراث التربوي في شتى صوره من خلال عدة دراسات باللغة العربية والفرنسية ليتمكن الجزائري الذي يجهل اللغة العربية من الاطلاع على تراثه الإسلامي والعربي وثقافته باللغة الفرنسية. وكانت هذه الميزة التي تميزت بها فطنة وذكاء ووعي محمد بن شنب في ترسيخ التراث.

كلمات مفتاحية:

محمد بن شنب-التراث التربوي-المقاومة الثقافية-التراث العربي الإسلامي

Abstract:

The scholar Muhammad Ibn Shanab (1869-1929) is considered one of the people of the city of Medea who employed their knowledge in serving and preserving their Islamic educational heritage. He was loyal to his country, people, religion and culture during the French occupation. The latter used all different ways and means to obliterate the religious, linguistic and national identity of this people. This intervention examines the manifestations of cultural resistance within the University of Algiers at the time through the distinguished intellectual works of Muhammad Ibn Shanab. He was the first doctor of Arabic literature at the University of Algiers. His protection of the educational heritage in its various forms was manifested through several studies in Arabic and French, so that the Algerian, who was ignorant of the Arabic language, could learn about his Islamic and Arab heritage and culture in French. This was the feature that characterized the acumen, intelligence and awareness of Muhammad bin Shanab in consolidating the heritage.

Keywords: Muhammad Ibn Shanab - Educational Heritage - Cultural Resistance - Arab Islamic Heritage.

***المؤلف المرسل:** شيكو يمينة.

1. مقدمة:

لقد كانت مساهمة محمد بن شنب في ميدان التربية مساهمة فعالة، كان الغرض الأساسي منها هو المحافظة على التراث التربوي الجزائري. فكيف كانت تلك المساهمة في ظل الاحتلال الفرنسي الذي كان حريصا على طمس ومحو الهوية الجزائرية في صميم تراثها العربي الإسلامي؟ وفي ماذا تمثل دور محمد بن شنب؟ ان الهدف الرئيسي من تناول هذا الموضوع هو التعريف بأحد أعلام الجزائر الحرصين على تراثها التربوي والفكري والعلمي. وكانت له منهجية في الكتابة والتأليف متميزة حديثة يغلب عليها الطابع العلمي وروح الدقة.

2. واقع الجزائر التربوي خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ومواجهة محمد بن شنب له:

يعتبر قطاع التعليم عاملا من العوامل المهمة للتحول الثقافي والاجتماعي وسلاحا إيديولوجيا خطيرا يمكن ان يساعد على توطيد دعائم النفوذ الاستعماري. لأجل هذا قام المحتل في مرحلة أولى بتدمير المنظومة التعليمية التقليدية في الجزائر، واستولى على املاكها الوقفية التي كانت تتغذى منها، بمقتضى مرسوم أصدره بتاريخ 07 ديسمبر1830م الذي يخول المحتل مصادرة الأملاك الوقفية، (سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 161) والتي بلغت نسبتها آنذاك في كامل الجزائر ما يقدر ب 66%. وكان لهذا الفعل نتائج وخيمة، إذ أدى الى إطباق الجهل على ربوع الجزائر. ويقر ذلك الجنرال DUCROT في أحد تقاريره الى نابليون الثالث بقوله: "يجب علينا ان نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا الى ذلك سبيلا... وبعبارة أخرى يجب ان يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا" (الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 128-129)

كما قام المحتل من جهة أخرى بنهب مجموعات أثرية وتراثية مكونة من مجموعات كبيرة من رصيد المكتبات والمتاحف الجزائرية والمغاربية وتم نقلها الى فرنسا. كل ذلك تنفيذا لسياستها في ضرب الحركة العلمية والثقافية في دول المغرب، في سبيل إحلال سياسة التجهيل والتخلف، وبالتالي الوصول النهائي الى فصل بلدان المغرب عن ذاكرتها وهويتها المتأصلة في جذور تاريخها.

غير ان ذلك لم يثن عزيمة شعب المغرب ونخبه، التي بادرت الى الدخول في مواجهة الاستعمار وبذوره التجهيلية، من خلال حركة إصلاحية ونهضوية قادها العديد من المثقفين، سواء الذين عادوا من المشرق أو من قبل الذين بقوا بالداخل. ولعل محمد بن شنب مثال بارز في الوطنية المصلحة لتراث أمته وتاريخها: فقد جابه لمدة من الزمن تيارات استعمارية واستشراقيه، واستطاع في الأخير ان يحفظ تراث الجزائر وغيرها من الدول العربية، من خلال إنتاجه وإبداعه العلمي الذي تواصل على مدار 60 سنة قضاها من عمره، دون أن يبدل في هويته وجنسيته واصوله. (سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط 1، ص167.)

فقد كان يعيش بعمق وأسى ما حل بوطنه وأمته من تجهيل، فأنشد قائلا الأبيات الشعرية التالية:

أفيقوا بني عمي برقي المشارف

وجدوا وكدوا في اكتساب المعارف

فقد ذهب الإعلام والعلم بينكم

ولم يبق إلا كل غمر وخالف

فيا وحشتا من طالب ومدرس

ومنشد أشعار وراوي اللطائف

ألا أيها الباكي على فقد درس

وتلو كتاب في أغر المواقف

تحسر ولا تبق الدموع بمقلة

فإن الدروس الغرطي الكواسف

3. فمن هو محمد بن شنب؟ وما هي آثاره العلمية؟

3.1. التعريف به:

هو محمد بن العربي محمد بن شنب أو محمد بن أبي شنب (1286-1347هـ) (1869-1929م) ولد بقرية في المدية من أصل تركي تعلم القرآن، ثم تعلم اللغة الفرنسية وعلومها متدرجا من التعليم الابتدائي إلى الثانوي، وله رحلة كبيرة في طلب العلم، فمن المدية انتقل إلى العاصمة سنة 1886 ملتحقا بمدرسة المعلمين(Ecole normale) ببوزريعة في الجزائر العاصمة، إلى أن أتقن كل ما يدرس فتخرج أستاذا في اللغة الفرنسية مجازا بإجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية والوطنية، وفي ما أتقنه من تعلم صناعة النجارة أيضا

وذلك لما يوجبه برنامج الدراسة على الطالب المتخرج من اتقان صناعة واحدة من الصناعات وعليه أن يختار أيها شاء، فاختار النجارة، وكان بارعا في الرسم والتصوير وعلى الخصوص رسم آلات وأدوات صناعته، وكل تلك المدة التي قضاها بهذه المدرسة لا تزيد عن سنتين فقط، تخرج منها في جويلية سنة 1888 وكان يبلغ من العمر 19 عاما. (عبد الرحمن الجيلالي: محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1993، ص13-14) آخر مشواره الدراسي هو الحصول على شهادة الدكتوراه كما سيأتي ذكره لاحقا.

3.2. معارفه واجتهاده ومناصبه:

في أكتوبر من سنة 1888م عين معلما في قرية (سيدي علي تامجرت: قبيلة قرب المدية تعرف باسم وامري وجندل) فدرس وتعلم فيها أربع سنين إلى سنة 1892م، ثم عين معلما بمكتب الشيخ "إبراهيم فاتح الرسمي" بالجزائر، والى جانب التعليم كان يتعلم اللغة الايطالية في الثانوية، بالإضافة إلى علوم البلاغة والمنطق والتوحيد على أستاذ الجماعة "الشيخ عبد الحليم بن سماية".

وقد كان هذا الأخير يعترف لتلميذه "بن شنب" بالاجتهاد والنبوغ في قوله: «ما علمت في حياتي كلها معلما يرجع إلى تلميذه غيري، واني معترف له بالفضل والنبوغ». (عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ص15)

وقد تمكن من حفظ اللغة العربية والعلم بآدابها ودقائقها العلمية الأصولية، وأخبار العرب وشعرائهم وتراجم الرجال وأنسابهم ومعرفة طبقاتهم، فكان معلما ومتعلما. وفي جوان عام 1894 أحرز على شهادة (دبلوم العربية Diplôme d'arabe). وفي سنة 1896 حصل على شهادة البكالوريا. وتعلم اللغة الاسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية والعبرانية والانجليزية والفلسفة والمنطق.

وفي سنة 1898 عينته الأكاديمية أستاذا بالمدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة، فكان معلم الصرف وعلوم الأدب والفقه إلى غاية 1901م.

ثم عين مدرسا بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة، فكان يعلم الفقه والنحو والصرف والمنطق والبيان.

ثم عميدا لكلية الأدب الجزائرية، بالإضافة إلى دروس كان يلقيها في الجامعة في علم العروض وترجمة الرسوم الشرعية والبحث في اللغة الدارجة والمقارنة بينها وبين الفصحى. هذا بالإضافة إلى الدروس التي كان يلقيها بالمدرسة الثعالبية، فاجتهد الشيخ في أدائه الواجب بالمدرستين معا، وفي حوالي 1904 أسندت إليه دراسة صحيح الإمام البخاري بجامع سفير بالعاصمة.

وفي سنة 1908 ارتقى إلى رتبة محاضر بالجامعة.

وفي سنة 1920 انتخبه المجمع العلمي بدمشق عضوا به.

وبقي يكتب في مجلته العلمية بحوثه اللغوية والتاريخية والأدبية، وأحرز على الدكتوراه في الآداب من كلية الآداب بالجزائر في أواخر سنة 1922 بتأليف كتابين: موضوع الأول شاعر العباسيين (أبو دلامة) والثاني بحث لغوي في الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في لغة أهالي الجزائر.

وكان مبرزا في علوم اللغة والآداب.

وفي سنة 1924 عين أستاذا رسميا بكلية الآداب في العاصمة عوضا عن "كولان" "M. colin" المتوفي في هذه السنة، وكان يسلك في دروسه بالجامعة مسلك الغرب، غلب فيه التشويق في اللغة العربية ويحببها لهم حبا جما، فيستعذبونها في نفوسهم، ولا يفرغون من الدرس إلا ونفوسهم متأثرة ومملوءة بالإعجاب بكنوز العرب

ومخلفاتهم الثمينة. «وكانت هذه الدروس التي يلقيها الشيخ خاصة بالتلاميذ الرسميين في الكلية، وله فيها دروس أخرى عامة أيضا يذاع الإعلان عنها في الصحف اليومية قبل التاريخ بيومين او ثلاثة، فترى الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم يتسابقون لمقاعد قاعة الدرس بالجامعة قبل الوقت المقرر بساعتين أو ثلاث، ويحضره الكثير من أساتذة الجامعة وغيرهم من أصحاب المدارس الحكومية والعلماء الأحرار». (عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ص19)

3.3.حرصه على الجدية في طلب العلم:

كان شديدا في اختبار تلامذة المدارس أيام الامتحان السنوي، وينتقد الآباء الذين يلحون على الأساتذة تقديم أبنائهم من دون مراعاة لمكانتهم ومستواهم العلمي، فيقول: «إن من الاهانة للعلم أن تعطى الشهادة لغير مستحقيها، وفي هذا تغرير للأمة حيث تعلق آمالها على قوم جهال بصفة أنهم علماء حاملون لشهادة

العالمية، وأيضا هو أمر يسيء سمعة المشايخ والمدرسين عند ذوي العرفان، والمسؤولية عليه عظيمة في المستقبل». (عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن أبي شنب، ص28)

فقد كان مشهورا بالثقة العلمية لا يمارى ولا يدارى ولا يجحف ولا يحابي، يذكر الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" أنه زاره في الجامعة ذات يوم من أيام الامتحان، ورأى في فناء الجامعة فتاة رائعة على أشد ما تكون فتنة وجمالا قد رسبت في الامتحان على يده، وهي تبكي بكاء شديدا، فقال: «قصصت عليه قصتها فقال: وددت لو أنها نجحت، ولكن أسقطتها أمانة للعلم، وما هي قيمة العالم إذا لم يكن ثقة ولا أمينا؟ ».

(عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن أبي شنب، ص102)

3.4. تواضعه:

يذكر بن شنب بكل تواضع عدد اللغات الأجنبية التي تعلمها كما يلي: «وللعبد الحقير إلمام باللغة الطليانية والألمانية والاسبانية والفارسية والتركية واللاتينية». (مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، شهر نيسان-أفريل، سنة 1930م-1348هـ، الجزء 10، ص4)

وكان لا يتظاهر بالمعرفة أصلا ولا يتفصح في حديثه حتى يحسب جاهله أنه من عامة الناس، ولا يتكلم الفرنسية مع بني وطنه بل يتجاهلها أحيانا بالرغم من أنه يتقنها.

وكان في سائر أحواله الداخلية والخارجية مقلدا لأجداده الأول مؤثرا عيشة الفلاحين البسطاء مع السذاجة في كل شيء، ما عدا الكتابة والمطالعة: فإنه كان يجلس لها في مكتبه على كرسي مرتفع مستدير الشكل له ذراعان

يتوكأ عليهما الجالس، وأمامه منضدة، وكلاهما من الطراز الحديث، ويكتب "بالريشة العصرية" آنذاك من دواة خزفية بيضاء.

ولم يكن ممن تلهيهم وتستهويهم مناظر الحضارة الغربية الخلابة ولا ممن تستحوذ على عقولهم زخارفها «وإنما كان يأخذ منها بمقدار ما يعطى الطعام من الملح» (عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص29) على حد تعبير "عبد الرحمن الجيلالي"، بالرغم مما عرفه من عواصم الغرب المتمدن ومن تعرف بهم من رجاله المعاصرين.

3.5. اهتمامه بطلب العلم:

كان في حالة فراغه لا يبرح مكتبته الغنية في داره وقد اجتمع عنده من الكتب ما لم يتفق لآخر غيره، وكان مداوما على العمل في التأليف، فانيا فيه، ولا يظهر إلا في رزانة وتفكير، وقد أثرت صفاته هذه فيمن عرفوه فأجلوه وأكبروا شأنه، ومن بينهم الأستاذ "جورج مارسه" أحد أساتذة جامعة الجزائر آنذاك في قوله: « ومن الواجب أن نشير إجمالا إلى جميع أعماله حتى ينجلي لنا نشاطه العلمي، فقد كنا نرجع إليه ونستضيء بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فإنه كان يجمع إلى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب »، (عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن ابي شنب، ص107) وقال عنه الأستاذ "مارتينو" مدير كلية الآداب في

جامعة الجزائر وصديقه، وهو يؤبنه على ضريحه: « إن المنهج الذي نهجه بن شنب يدل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع أن

يعمله العقل والإرادة والعمل في الارتفاع من أصغر المناصب إلى أعظمها وإني أود أن يوقر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها ». (عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن ابي شنب، ص107)

3.6. _تمسكه بدينه:

في هذا الجانب يشهد له من عرفه عن قرب. وأود أن أذكر هنا مثالا واحدا معبرا، وهو ما ذكره الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي" حين تعرف عليه لأول مرة قائلا: « وكانت أول معرفتي بالشيخ أن كنت بتونس في سنة 1922م وأنا يومئذ لا أزال أطلب العلم في الكلية الزيتونية، وجاءتها في تلك السنة لجنة من العلماء الفرنسيين لامتحان طلبة البكالوريا في تونس، وكانت هذه اللجنة تحت إشراف المرحوم الدكتور بن شنب، فاستغرب الناس في تونس أن يكون عالم جزائري غير متجنس بالجنسية الفرنسية مشرفا على لجنة علمية فرنسية، يرأس جلساتها بملابسه الجزائرية، وبزيه الجزائري، وتعالم الناس هذا الخبر، وسمعته أنا، وفرحت به، وداخلني يومئذ شيء من النخوة والكبرياء، وجمعت نفرا من إخواني الطلبة الجزائريين، وذهبنا نزوره، وكان اليوم يوم أحد لا يعمل فيه، فلقيانه لقاء حسنا، وقابلنا قبولا كريما.

وبينما نحن جلوس عنده إذ حضرت صلاة العصر، فقام فصلى النافلة أربع ركعات، ثم أقام الصلاة (المكتوبة) ولما فرغنا من الصلاة سألته: «كيف تصنع إذا أدركتك الصلاة وأنت في جلسة رسمية؟» فقال: «أوقف الجلسة للاستراحة، فيستريح زملائي بخطوات يمشونها ودخائن (السيغارة) يشعلونها وأستريح بأداء الصلاة المكتوبة، وأجد من الراحة في صلاتي ما لا يجدون هم في مشيتهم وتدخينهم». (عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن ابي شنب، ص102)

3.7. آثاره ومؤلفاته:

هي في معظمها دليل على المحافظة على التراث الثقافي، وقد كتب باللغتين العربية والفرنسية « ما ينيف عن خمسين كتابا في سائر العلوم المتداولة عند العرب والإفرنج، بل حتى في العلوم المندثرة واللغات والعادات والتقاليد السابقة، وهي لا تخرج عن حد العلوم الأدبية» (عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن ابي شنب، ص30) ففي مجال التربية والتعليم ترجم الى الفرنسية رسالة للإمام الغزالي في رياضة الأولاد وتربيتهم وهي (أيها الولد) المشهورة، نشرت بالمجلة الإفريقية La revue africaine سنة 1901.

وترجم رسالة أخرى تسمى (خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وما يليق بذلك) نشرت بالمجلة السابقة أيضا في 1897. أما في التاريخ والتراجم والسير، فكانت له تحقيقات في كتب التاريخ والتعليق عليها من بينها:

(الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) 1920.

(الألفاظ التركية والفارسية في اللغة الجزائرية) 1922.

(ديوان علقمة الفحل مع تقديرات) 1925

كما أنه حقق مجموعا تاريخيا يحتوي على كتاب (طبقات علماء إفريقيا) لأبي العرب.

كتاب (الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية) لابن قنفذ القسنطيني وهو عبارة عن ترجمة مسهبة نشرت بالفرنسية سنة1928، وغير هذا كثير، ما عدا الذي نشر في المجلات التاريخية الأجنبية.

وله مؤلفات في اللغة والأدب من بينها (تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب) وهو كتاب على ما يذكر عبد الرحمن الجيلالي (فريد في بابه وحيد في فنه لم يؤلف مثله من حيث الجمع والإتقان والضبط مع وفرة المادة وكثرة الأمثلة والتمارين يحتوي على168 صفحة طبع في 1906. وشرح شواهد (جمل الزجاجي) في النحو شرحا لغويا أدبيا تاريخيا على أسلوب العصر الحاضر.

وألف كتابا ضخما جمع فيه الأمثلة العامية السائرة بالمغرب العربي بالأقطار الثلاث: الجزائر، تونس والغرب، وشرحها بالفرنسية في ثلاثة أجزاء وطبع بباريس في1907، وترجم ديوان الحطيئة بالفرنسية، وترجم متن إيساغوجي في المنطق (لم يطبع) وكتبا أخرى لم تطبع.

وترجم عدة مفردات علمية نشرت بمجلة المنار المصرية مرتبة على حروف المعجم.

وله بحث مطول مفيد يتعلق بشأن الزواج بين المسلمين وغير المسلمين، نشر في مجلة الوثائق المغربية revue des archives marocaines طبع بباريس في 1908.

وله غير هذا من أبحاث ودراسات قيمة في مواضيع مختلفة نشر بعضها بدائرة المعارف الإسلامية (Encyclopédie de l'Islam) وبعضها بالمجلات الأخرى مثل مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وغيرها.

فقد كان رجل الجد والكد في العمل الدائم المستمر الذي لا ينتج إلا عن تضحية كبرى، وقوة إرادة وشدة حزم وشجاعة فريدة في الإقدام على هذه الأعمال.

4. خدمته للتراث الإسلامي وقلقه عليه:

4.1. دور محمد بن شنب في إحياء أمجاد اللغة العربية:

لقد حاول بن شنب إحياء أمجاد اللغة العربية خاصة، والتراث العربي الإسلامي عامة، وكان دافعه في ذلك هو تخوفه من ضياع ذلك التراث، الذي كان قلقا بشأنه قلقا عبر عنه بشكل صريح في كتابه: catalogue des manuscrits arabes)، يقول في مقدمة هذا الكتاب :« إن مكتبة المسجد الكبير بالجزائر احتوت – كما تم تأكيده لي – على الأقل على 500 ألف مؤلف حين قدوم الفرنسيين سنة1830، ونلاحظ اليوم أنها لم تعد بنفس الغنى » (Mohamed Ben Cheneb : catalogue des manuscrits arabes conservés dans les principales bibliothèques Algériennes - Alger - typographie Adolphe Jordan imprimeur - libraire - éditeur 1909 p1) فقد أشار بن شنب إلى ما كانت تتضمنه تلك المكتبة من كتب قيمة لم يعد لها وجود، وكيف تم تحويل ما تبقى منها إلى مكتبة الجزائر الرئيسية، بقائمة المخطوطات التي اهتم بإعادة ترتيبها بن شنب مثلما كانت سنة 1890 في المسجد الكبير، لأن الفرنسيين أخطئوا في ترتيبها، لذلك رأى ضرورة الاهتمام بذكرها كما كانت في الأصل، فخصص لها مؤلفا منفردا هو:catalogue des manuscrits arabes.

4.2.التعريف بإجازة الشيخ عبد القادر الفاسي ومحتواها بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين:

كما اتضح اهتمامه بالتراث العربي الإسلامي في مؤلفات أخرى نذكر منها (إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي)، قدمه لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بالجزائر سنة1905 باللغة الفرنسية. وهو دراسة نقدية شاملة لتراجم الرجال المذكورين فيه. وقد ترجم فيه بإيجاز 350 عالما مغربيا من علماء الحديث والمفسرين للقرآن والنحويين

والأدباء والفقهاء والصوفيين. (المجلة الآسيوية، المجلد 214 نقلا عن مجلة أشير، المدية، العدد 2 سبتمبر 2004 ص11)

واهتم في هذا الكتاب أولا ببيان معنى الإجازة، وأهميتها في زمانها وكيف فقدت دورها في قوله:

«لكن حاليا الإجازة فقدت قيمتها الأولى منذ زمن بعيد وصارت تسلم فقط للتبرك بالشيخ الذي يسلمها». (Mohamed Ben Cheneb: Etude sur les personnages mentionnés dans l'IDJAZA du CHAIKH Abd el Qâdire El Fassi , Paris, Ernest Leroux, édit 1907 p1)

عناية محمد بن شنب بجمع الحكم والأمثال في التراث المغاربي:

ولا يفوتنا في هذا المقام كذلك الإشارة إلى أهم كتاب ألفه ابن شنب، حفاظا على التراث المغاربي عنوانه (الأمثال الجزائرية والمغاربية) (proverbes de l'Algérie et du Maghreb)، وهو لم يكتف بجمع الأمثال فقط، بل وضع لها منطقا في ترتيبها وفي ترجمتها وإحالتها: فقد جمع تلك الأمثال حسب الترتيب الأبجدي، مع تقديم شرح لها يفهم من خلاله المعنى الخفي لها وما ترمي إليه من بعد، يقول محمد بن شنب في مقدمة ذلك الكتاب: « بواسطة المثل يمكن إسكات الثرثار، وإنعاش الحديث، واستمالة القلوب، وتجنب الإطالة في الكلام، وتأنيب المنحرف، وتفنيد حجة، وإصلاح خطأ وتلبية دعوة ».

(Mohamed Ben Cheneb: Proverbes de l'Algérie et du Maghreb, Paris, Maisonneuve et Larose, p a)

وهذه بعض الأمثال التي ذكرها مع كيفية تقديمها:

أ. «احرث وطول المرجع ودراهم التاجر ليك ترجع»

«Laboure et que ton sillon soit bien long : l'argent du commerçant retournera à toi ».

ثم يشرح هذا المثال باللغة الفرنسية كما يلي:

Avec un bon labour, on a une récolte abondante et alors l'argent que l'on a été obligé de donner au marchant de comestible est recouvré par la vente des céréales.

ب. والمثل الثاني يقول فيه:

«علمني كيف خوك وحاسبني كيف عدوك».

« Agis avec moi comme si j'étais ton frère et règle mon compte comme si j'étais ton ennemi ».

Les bons comptes font les bons amis ».

4.3. منهج محمد بن شنب في الكتابة والتأليف:

ما يمكن قوله عن نشاط محمد بن شنب في الكتابة والتأليف أنه كان ينهج في الدراسات العربية والإسلامية منهجا أوروبيا، وبفضل تمكنه من اللغة العربية والفرنسية ولغات أخرى بالإضافة إلى ثقافة عامة، استطاع بإرادته القوية التوصل إلى الاستفادة من كتب الاختصاصيين في الدراسات الإسلامية وفي الأدب العربي بلغات متعددة

وأن يتآلف مع مناهج العلم التي يطبقها العلم الأوروبي الحديث ومع البيبليوغرافيا ونقد المصادر التي استخدمها في أعمال البحث. (مجلة أشير، مجلة فصلية تصدرها مديرية الثقافة لولاية المدية العدد 2، سبتمبر2004، ص11)

فدرايته باللغة العربية الفصحى والبيبليوغرافيا أهلته لتقديم دراسات نقدية قيمة لبعض النصوص العربية، وكان في معظم الأحيان ينشرها لتحليل مضمون بعض المخطوطات العربية، نذكر منها: (طبقات علماء إفريقيا)، وهو مخطوط نشره مع الترجمة الفرنسية التي كانت ذات فائدة كبيرة في معرفة الأدب والحقوق والمجتمع الإسلامي في المغرب في زمن الاغالبة (القرن التاسع الميلادي).

4.4. تميز كتاباته بالدقة وبالعلمية :

وابن شنب في كل ذلك عالم أكثر منه أديب، وأبحاثه وإن كانت في موضوعات أدبية فهي أبحاث علمية لا تكاد ترى عليها مسحة أدبية، فهي كلها أبحاث في اللغة العربية، وفي الأدب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله، يقول عبد الرحمن الجيلالي:

«قرأت له ذات مرة فصلا في تاريخ عاصمة الجزائر فقال إنها كانت تسمى (مزغانه) أو (مزغنان) ثم (جزائر مزغنان) ثم (الجزائر)...واستمر يبحث في هذا الموضوع ويستقصيه حتى قتله بحثا وتدقيقا، وحتى جاء فيه بما لم يسبقه إليه أحد من المؤرخين وأعجبت أنا بهذا الفصل».

(عبد الرحمن الجيلالي: محمد بن شنب، حياته وآثاره، ص101)

5. خاتمة:

وما يمكن أن نخلص إليه مما تقدم، هو أن أعمال محمد بن شنب العلمية والأدبية كانت مدرسة في اللغة العربية الأصلية والأدب القوي، إلى جانب تجنب التبعية والتقليد، بل الحرص على الاستقلالية مع الأخذ بأسباب التقدم الفكري من الغرب في منهجية التأليف وأساليبه. والهدف الرئيسي من وراء كل ذلك هو السعي الحثيث الى المحافظة على التراث التربوي والعلمي الإسلامي الذي سعى المحتل الفرنسي الى طمسه ومحوه من ذاكرة الشعب الجزائري المحتل. ولذلك تعمد محمد بن شنب تعلم لغة العدو (الفرنسية) ومعظم لغات الغرب، وكتب وحاضر بها، حتى يتيح فرصة الرجوع إليها للمثقفين بلغة الغرب من الجزائريين وغير الجزائريين.

وكان غرض محمد بن شنب من وراء ذلك كله هو المحافظة على التراث العربي والإسلامي بشتى الوسائل والطرق، دون ان يلفت انتباه العدو الفرنسي الى ذلك. فاستطاع بالتالي ان يواجه المحتل بسلاح العلم، مثلما فعل غيره من المناضلين الجزائريين بالثورة المسلحة، والحركات الإصلاحية الدينية.

وأقل ما يمكن ان يقترح في هذا الإطار ان تدرج بعض أعماله في البرامج الدراسية، للتعريف به وليس مجرد تسمية بعض الأماكن عليه من مؤسسات تربوية أو قاعات تدريس، مثل (ثانوية بن شنب في المدية، أو قاعة بن شنب في المدرسة العليا للأساتذة)، ولا يعرفه أحد من التلاميذ أو طلبة المدرسة. فيمكن التعريف به مثل الأمير عبد القادر وعبد الحميد بن باديس الذي قال عن محمد بن شنب: لما عرفناه افتقدناه، حتى يتسنى التعريف به، ومعرفته من قبل المتعلمين.

قائمة المراجع:

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط 1.
- عبد الرحمن الجيلالي: محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1993.
- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، شهر نيسان-أفريل، سنة 1930م-1348هـ، الجزء 10.
- Mohamed Ben Cheneb : catalogue des manuscrits arabes conservés dans les principales bibliothèques Algériennes - Alger - typographie Adolphe Jordan imprimeur - libraire - éditeur 1909.
- المجلة الآسيوية، المجلد 214 نقلا عن مجلة أشير، المدية، العدد 2 سبتمبر 2004.
- Mohamed Ben Cheneb: Etude sur les personnages mentionnés dans l'IDJAZA du CHAIKH Abd el Qâdire El Fassi , Paris, Ernest Leroux, édit 1907.

Mohamed Ben Cheneb: Proverbes de l'Algérie et du Maghreb, Paris, Maisonneuve et Larose.

- مجلة أشير، مجلة فصلية تصدرها مديرية الثقافة لولاية المدية العدد 2، سبتمبر 2004.
- عبد الرحمن الجيلالي: محمد بن شنب، حياته وآثاره.